

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح لامية شيخ الإسلام

ابن تيمية

لمعالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

	المكان:		تاريخ المحاضرة:
--	---------	--	-----------------

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام (3)

الشيخ: عبد الكريم الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.
اللهم اغفر لنا ولشيخنا والمؤمنين يا رب العالمين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-:

وَأَقْرُ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي	أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنَّهُلُ
وَكَدًّا الصِّرَاطُ يَمْدُ فَوْقَ جَهَنَّمَ	فَمَسَلَمَ نَاجٍ وَأَخْرَجَ مُهْمَلُ
وَالنَّارُ يَضَلَّهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ	وَكَدًّا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَانِ سَيَدْخُلُ
وَلِحُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ	عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ	وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمَوْفَّقٌ	وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مَعْوَلُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
أما بعد:

فيقول الناظم -رحمه الله تعالى- في البيت الحادي عشر:

"وأقر" يعني بلساني وجناني، بل أعتقد جازماً اعتقاداً لا شك فيه، ولا مرء بالميزان الذي توزن به الأعمال،
توزن به الحسنات والسيئات، وتوزن به الصحف، ويوزن به العامل، فالوزن للأعمال في قول أهل العلم،
والوزن لصحف الأعمال، وقد يوزن بعض الأشخاص، فقد ثبت في الحديث الصحيح أنه: ((يؤتى بالرجل
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)) فهو يوزن.

والأصل الوزن للأعمال الصالحة والسيئة، والميزان حقيقي وليس بمعنوي، كما يقول أهل البدع، له كفتان وله
لسان، في إحدى الكفتين توضع الحسنات، وفي الأخرى توضع السيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته فهو
ناج ومن أهل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو الخاسر، وقد خاب وخسر من زادت آحاده على
عشرات، فإذا رجحت كفة الحسنات فهذا يدخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته فهذا يدخل النار بقدر
سيئاته، إن كان مسلماً معترفاً مقرراً بالله -جل وعلا-، ثم بعد ذلك إذا عذب بقدر سيئاته إن لم تتداركه رحمة
أرحم الراحمين فإنه يعذب بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها، ويكون مآله إلى الجنة، وأما من تساوت حسناتهم مع
سيئاتهم فقال جمع من أهل العلم: إنهم هم أهل الأعراف، فهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يحبسون على
الأعراف، ثم يكون مآلهم إلى الجنة.

"وأقر بالميزان" المعتزلة ينكرون الميزان، والأحاديث الواردة في الميزان تقيد القطع، وكذلك ما جاء في القرآن

من التصييص على الوزن وعلى الميزان والموازن، **{وَوَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}** [47] سورة الأنبياء [**{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}**] (8) سورة الأعراف [**{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ}**] (9) سورة الأعراف] كل هذه تدل دلالة قطعية على وجود وثبوت الميزان، وينفي وينكر المعتزلة الميزان، ويقولون: إن الحسنات والسيئات معاني، والمعاني لا توزن، والله -جل وعلا- قادر على تحويل هذه المعاني إلى أعيان بحيث تكون لها أجسام بقدرها توضع في الميزان، وكلمة التوحيد في بطاقة إذا وضعت في كفة رجحت بما يقابلها، كما في حديث البطاقة: وأن شخصاً قررت سيئاته فاعترف بها، وهي في تسعة وتسعين سجلاً، فيقال: هل من حسنة؟ فيقول: لا، لا أذكر، فيقال: نعم لك حسنة، فيأتي بالبطاقة التي فيها كلمة التوحيد، فيقول: يا رب ما تصنع هذه البطاقة في مقابل هذه السجلات؟ فتوضع في الكفة الأخرى فتطيش السجلات وترجح البطاقة.

وأقر بالميزان والحوض الذي

المعتزلة من حججهم وشبههم في نفي الميزان أن الله -جل وعلا- ليس بحاجة إلى وزن الأعمال، فقد كتبت وهو يعرفها، ويعرف النتيجة، وأن هذا سعيد، وأن هذا شقي، وأن هذا من أهل النار، وأن هذا من أهل الجنة، وهو في بطن أمه قبل أن يخلق، قبل أن يوجد، وفي علم الله -جل وعلا- ذلك، المقصود أن هذه من شبههم، والفائدة من الميزان كما قرر أهل العلم أن يقتنع كل إنسان بنتيجته، فلا يقول من دخل الجنة: أنا دخلت الجنة بعملتي، ولا يقول من دخل النار: أنا عذبت وعوقبت بأكثر مما أستحق، فإذا نظر إلى عمله وقرر عليه، وأقر به واعترف، ووضع في الميزان ليس له حجة، فينقطع عذره، وتخرج النتيجة من عالم الغيب إلى عالم الشهود.

فإنكار الميزان من شأن المبتدعة، وهو ثابت بنصوص الكتاب والسنة، ومن أنكر الميزان إنكاراً لا تأويل له فيه هذا لا شك أنه يكفر، لكن من تأوله وقال: نعم نقر بالميزان، وأنه ميزان معنوي، ولا شك أن بدعته مغلظة وكبيرة، لكن القول بتكفيره مع وجود مثل هذا التأويل قد يكون بعيداً.

وأقر بالميزان والحوض الذي أرجو بأنني منه ربا أنهل

حوض النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونهر الكوثر الذي أعطيه -عليه الصلاة والسلام- من الأمور الثابتة بالدلائل القطعية بنصوص الكتاب والسنة، أما في الكتاب فالسورة المشهورة بالكوثر **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}** [1] سورة الكوثر] وهو نهر في الجنة، مسيرة شهر، مأوه أشد بياضاً من اللبن، وأنيته عدد نجوم السماء، يشرب منه من تبعه -عليه الصلاة والسلام-، ويذاد عنه من خالف، وهل الحوض هو الكوثر النهر المعروف أو غيره؟ وهل الحوض خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، أو لكل نبي حوض؟ دلت الأدلة أن لكل نبي حوض، ونهر الكوثر خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وثبت أنهم يردون الحوض، ترد أمته الحوض، ويعرفهم بسيماهم من آثار الوضوء، ويذاد عنه من يذاد، فيقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: **{(إنهم أصحابي)}** فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يعني من المرتدين المغيرين المبدلين؛ فليحرص الإنسان على الاتباع، وأن لا يعمل عملاً إلا بأثر لينال مثل هذا الشرف؛ لأن من شرب من هذا الحوض لم يظماً أبداً، فإذا كان يذاد عنه المرتد، ويذاد عنه المغير والمبدل لشرع الله؛ لأنه أحدث بعد النبي -عليه

الصلاة والسلام-، والحدث يشمل الحدث المخرج عن الملة، ويشمل الحدث المخالف الذي يتضمن مخالفة من بدع ونحوها، فعلى الإنسان أن يلزم السنة.

وأقر بالميزان والحوض الذي أرجو بأنني منه ريا أنهل

عبيد الله بن زياد والي من الولاة كان ينكر الحوض، فسأل عنه بعض الصحابة وأخبره بعض الصحابة ثم اعترف به، وفي حديث أبي برزة عند أبي داود أن أبا برزة -رضي الله عنه- دخل على عبيد الله بن زياد، وقال له عبيد الله بن زياد: إن محمدكم الدحاح، يعني يبرز أبا برزة بنسبته إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وينبذه بلقب، ويعيبه بعيب، وما له عيب سوى صحبة النبي -عليه الصلاة والسلام-، فطال الكلام بينهما فأخبره عن الحوض، وأحاديث الحوض متواترة، ثبوتها قطعي، وأجمع عليه سلف الأمة، وبعد ذلك قال به.

وعلى كل حال المخالفة لا تضر إلا صاحبها، يعني لو افترضنا أن ابن زياد هذا مع أنه مخالف في أمور كثيرة، لا يضر إلا نفسه، وسخريته من الصحابي بنسبته إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونبذه إياه، وتلقيبه إياه بالدحاح لا شك أن هذا دليل على استهتار، وهذا من شؤم مخالفة السنة، فمخالفة السنة تجر إلى مثل هذا، نسأل الله السلامة والعافية.

وأقر بالميزان والحوض الذي أرجو بأنني منه ريا أنهل

يرجو الناظم كما يرجو غيره من المسلمين أنهم يشربون من هذا الحوض حتى يرتووا منه، والنهل هو أول الشرب، ينهل ثم يعل، يعني يشرب مرة بعد أخرى. ثم قال -رحمه الله-:

وكذا الصراط يمد فوق جهنم فمسلم ناج وآخر مهمل

الصراط يمد على متن جهنم، لا بد أن يجوزه الناس كلهم، ويكون جوازهم له على حسب أعمالهم، فمنهم من يكون مروره كالبرق، ومنهم من يكون كأجود الريح، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي، ومنهم من يهرول، ومنهم من يحبو، ومنهم من يكبو ويكب على وجهه في النار، نسأل الله السلامة والعافية.

وكذا الصراط يمد فوق جهنم

وجهنم اسم من أسماء النار، نسأل الله العافية.

"فمسلم ناج" في بعض النسخ: "فموحد ناج" وأما المشرك فإنه لا ينجو، بل يكب.

"وآخر مهمل" في بعض النسخ: "يهمل" المسلم الذي هو الموحد ينجو، ويجوز الصراط بحسب عمله، وأما الآخر غير المسلم وغير الموحد، وهو المشرك يهمل، فلا يعان على جوازه، فيكب على وجهه في النار، نسأل الله السلامة والعافية.

والنار يصلها الشقي بحكمة

النار لا يصلها إلا الأشقى الذي كذب وتولى.

والنار يصلها الشقي بحكمة وكذا التقي إلى الجنان سيدخل

الشقي والأشقى الذي جاءه الخبر عن الله وعن رسوله فلم يرفع به رأساً، أمر فلم يأت، ونهي فلم ينته، ولم يزدجر، مثل هذا -نسأل الله السلامة والعافية- شقي، وسيصلى نار جهنم، نسأل الله العافية "بحكمة" يعني لا بظلم من الله -جل وعلا- وإنما بحكمة؛ لأن الله -جل وعلا- هداه النجدين، وبين له الطريق، وأوضح له السبيل، وأنار له الطريق المستقيم، وتركه النبي -عليه الصلاة والسلام- على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، فاختر طريق الردى، والناس كلهم يدخلون الجنة إلا من أبى، فمن أطاع النبي -عليه الصلاة والسلام- دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى، فالذي يأبى بعد البيان لا يلوم إلا نفسه، وإنما هي الأعمال تحصى، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فالشقي يصلى النار بحكمة الله -جل وعلا- وعدله، يعني بما كسبت وبما جنت يدها.

"وكذا التقي" يعني من جعل بينه وبين عذاب الله وقاية، وكذا التقي الفاعل للمأمورات، والمجتنب للمحذورات "إلى الجنان سيدخل" فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولا ثالث لهما، فليختر الإنسان ما دام في وقت الإمكان، يختار نجاته نفسه، وما ينجيه من عذاب الله -جل وعلا-، ولا يمهل ولا يسوف أو يتأخر بالامتثال أو يتردد، ثم يفاجأ بالموت وهو لم يستعد.

وهما فريقان كما قال الله -جل وعلا-: **{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}** [7] سورة الشورى] والله -جل وعلا- لما خلق الخلق ميز المكلفين بالعقول التي هي مناط التكليف، وبين لهم وهداهم إلى السبيل، فالذي يختار غيره يجني على نفسه.

ولكل حي عاقل في قبره

لكل حي يعني قبل وفاته، عاقل: يعني مكلف، يعني من كان حياً عاقلاً مكلفاً إذا مات وُجد في قبره

عمل يقارنه هناك ويسأل

فالأعمال تصحب أصحابها، فإذا مات الميت تبعه أهله وماله وعمله، فيرجع المال من دابة ونحوها، مما يركب إليه، وكذلك يرجع الأهل ويبقى العمل.

ولكل حي عاقل في قبره

عمل

ثم إن هذا العمل إن كان حسناً صالحاً جاءه في صورة شاب حسن الوجه يؤنسه في قبره، ويدافع عنه، وثبت أن الأعمال الصالحة تدافع عن أصحابها، والقرآن يأتي شافعاً لأهله يوم القيامة، والزكاة تدافع عن مؤديها، والصلاة وهكذا، تأتي هذه الأعمال الصالحة على صورة شاب حسن الوجه، وتأتي الأعمال السيئة -نسأل الله العافية- على أقبح صورة موحشة "عمل يقارنه هناك" فإما أن يكون مؤنساً له، أو موحشاً، "ويسأل" عن عمله، يمتحن ويبتلى في قبره، فإذا انصرف أهله عنه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه يجلسانه فيسألانه من ربك؟ وما دينك؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أما المؤمن يجيب بالجواب المعروف، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد -عليه الصلاة والسلام-، هذا الرجل آمننا به وصدقنا، وأما من سواه

الكافر أو المرتاب فيقول: هاه؟ هاه؟ لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ثم يضرب بمرزبة من حديد يسمعها كل من يليه إلا الثقلين، وهذا يدل على أن الثقلين لا يسمعون عذاب المعذبين، ولو سمعوا لصعقوا، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: ((لولا أن تدافنوا)) وفي بعض الألفاظ: ((لولا أن لا تدافنوا لأسمعتكم)) لولا أن تدافنوا يعني يدفن بعضهم بعضاً لكثرة من يموت، ولولا أن لا تدافنوا: بحيث يوجد من لا يمكن دفنه لكثرة من يموت، والوجهان يمكن حملهما على معنى صحيح.

فهذا يدل على أن المعذبين لا يسمع عذابهم، وقد يسمع من باب الاعتبار، أو قد يُرى في النوم شيء من هذا، أو قد يحصل أن ينبش قبر لأمر من الأمور فيرى العذاب فيه، كما ذكر ذلك الحافظ ابن رجب في قصص كثيرة في كتاب له أسماء: (أهوال القبور) ويكون هذا لحكمة ليعتبر ويذكر من حاله، وقد تظهر بعض العلامات أثناء التغليف، علامات حسن الخاتمة أو ضدها، كل هذا ليعتبر المكلف ويذكر ويزدجر، فإن رأى العلامات الحسنة سأل عما كان يعمل من الأعمال الصالحة وعمل مثله، وإن كان بخلاف ذلك سأل أيضاً ليحذر من هذه الأعمال التي يرتكبها من ختم له بسوء، نسأل الله العافية، يُسأل فيسأله الملكان، وجاء في تسميتهما: المنكر والنكير، وهما ملكان، وقال بعضهم: إنهما ثلاثة أو أربعة بشير ومبشر، ومنكر ونكير، وجاءت بذلك روايات لا تثبت، وإنما الثابت أنهما ملكان، وتسميتهما بمنكر ونكير جاءت في بعض الأحاديث من طرق متعددة، مما يدل على أن له أصلاً.

هذا اعتقاد الشافعي ومالك

هذا اعتقاد الأئمة الأربعة، الشافعي ومالك...

وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل

ذكر الأربعة غير مرتبين، والنظم له ظروفه، فقد لا يستطيع الناظم أن يأتي بهم على الترتيب الزمني، وقد لا يستطيع أن يأتي بهم على ترتيبهم على الحروف؛ لأنه قد لا يطاوعه النظم، فيأتي بهم كيفما اتفق، وهنا قال:

وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل

هذا اعتقاد الشافعي ومالك

الشافعي هو الثالث منهم، ومالك الثاني، وأبو حنيفة الأول، ثم أحمد هو الرابع، ولو قال: أحمد ثم الشافعي ثم مالك ثم أبي حنيفة نقول: رتبهم على سبيل الترتيب، ولو قال: أبو حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم أحمد نقول: رتبهم ترتيباً زمنياً على سبيل الترتيب.

والشافعي أحد الأئمة المتبوعين، ويتبعه جموع غفيرة من المسلمين على مر العصور، منذ اثني عشر قرناً أو أكثر، فولد سنة مائة وخمسين، السنة التي توفي فيها أبو حنيفة، ومات سنة أربع ومائتين، يعني عن أربع وخمسين سنة، ومذهبه له انتشار واسع جداً، ولأصحابه وأتباعه من خدمة العلم والدين ما لهم، فكثير من المفسرين، وشراح الحديث والفقهاء والأئمة من الشافعية، ويكثر فيهم أيضاً الأئمة المتبعون للحديث والأثر بحيث يخالفون ما عليه إمامهم، ويتبعون الأثر، ويكثر فيهم أيضاً المخالفون في الاعتقاد، فكثير من الشافعية فيهم أشعرية، ومنهم من تلبس ببدعة أخرى، ومنهم من هو على الجادة، كالحافظ ابن كثير والمزي وغيرهما والذهبي أئمة هدى.



توفي الشافعي سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة، يعني الآن عندنا أبا الخمسين أو الخمسة والخمسين يظن نفسه في ريعان الشباب، وأنه بقي له من العمر أكثر مما مضى، وهو لا يدري لعله يقبض في اليوم أو في غد.

الإمام الشافعي الذي ملأ الدنيا علماً مات عن أربع وخمسين سنة، الإنسان لما ينظر في مؤلفات أتباعه التي ملأت أمصار المسلمين يقول: إن الشافعي هذا يمكن أنه عاش ألف سنة، وليست العبرة بالمدة العبرة بالبركة، تصور لو حسبت الشافعية من زمن الشافعي إلى يومنا هذا في كل مسألة من مسائل العلم، يقول: قال الشافعي -رحمه الله-، وهذا مذهب الشافعي -رحمه الله-، هذه بركة العلم. وأما مالك فهو نجم السنن.

طالب:.....

ماذا؟

طالب: الواو.....

ثم أحمد، يعني الثلاثة عطفهم بالواو التي لا تقتضي الترتيب.

طالب:.....

نعم ثم أحمد، لكن الكلام فيمن لم يرتب، هو الآن قدم الشافعي؛ لأن التقديم بالذكر ينبغي أن يكون له حظ من النظر الزمني، الأصل أن يقول: أبو حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم أحمد، هذا الأصل؛ ولذا في البحوث العلمية، وفي بحث المسائل العلمية ينبغي أن يرتب الأئمة حسب الترتيب الزمني، إن كان الباحث يقتدي بإمام معين مثلاً، وأراد أن يقدمه على غيره، ثم يعطف عليه الأئمة بقية الأئمة يعطفهم على ترتيبهم، وقل مثل هذا في تخريج الأحاديث، كثيراً ما يقال: رواه البخاري ومسلم، ثم بعد ذلك السنن، ثم المسانيد، وهكذا، على حسب القوة، ومنهم من لا ينظر إلى هذا، وينظر إلى الترتيب الزمني، فيقدم مالك ثم الشافعي والطيالسي ثم يذكر أحمد، ثم يذكر البخاري ثم مسلم وهكذا، على الترتيب الزمني، ويقدم على الأئمة عبد الرزاق وابن أبي شيبة، وإذا نظرنا إلى القوة قدم الصحيحين ثم السنن ثم المسانيد ثم المصنفات ثم المعاجم.

والترتيب الذكري كما هنا ينبغي أن يكون تابعاً للترتيب إما في الوجود أو في القوة، وهنا أنسب ما يكون ترتيبهم على الزمن والعطف وإن كان بالواو والواو لا تقتضي الترتيب إلا أن للأولية حظ من الأولوية، ولذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لما رقي على الصفا: ((أبدأ بما بدأ الله به)) فكون الأئمة يرتبون على حسب الترتيب الزمني هو الأولى، فيقدم الإمام أبو حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم أحمد.

"هذا اعتقاد الشافعي" يعني هذه عقيدة الإمام الشافعي، بل المسائل التي ذكرت في هذه المنظومة كلها متفق عليها بين الأئمة الأربعة وغيرهم من سلف الأئمة وأئمتها.

"ومالك" نجم السنن، مالك بن أنس إمام دار الهجرة، مولود سنة ثلاث وتسعين توفي سنة تسع وسبعين ومائة، وممن أخذ عنه الشافعي، أخذ عنه الشافعي العلم، والإمام مالك نجم السنن، ومذهبه مشهور، وأيضاً أتباعه فيهم كثرة، ويكثر في المغرب، والإمام أبو حنيفة يقولون: الإمام الأعظم، وهو أكثر الأئمة تبعاً، وكل المسلمين في المشرق على مذهبه -رحم الله الجميع-، ولد سنة ثمانين، ومات سنة مائة

وخمسين، ومذهبه معروف ومشهور، وأتباعه فيهم كثرة، ولهم أيضاً وجود في التأليف والتفاسير، وشروح الحديث والفقهاء لهم أيضاً يد طولى في هذا الباب.

ثم أحمد إمام أهل السنة، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل آخر الأئمة وجوداً، وهو من الأئمة الفقهاء، ومن أهل الحديث والأثر، وإن غلب عليه الرواية إلا أن فقهه معروف ومدون ومشهور، وأتباعه أيضاً لهم وجود إلا أنهم أقل، الإمام أحمد أقل تبعاً من الأئمة الثلاثة، حتى إن بعضهم لا يعده من الفقهاء، لماذا؟ لأنه أكثرهم حديثاً فهو يحفظ من الحديث سبعمائة ألف حديث، وكونه لا يعد من الفقهاء لا يعني أنه ليس بفقهاء، ابن عبد البر صنف (الانتقاء في باب فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء) ولم يدرجه معهم، وهذا أمر عادي ومعروف، وما يزال إلى يومنا هذا، أن من اشتهر بشيء، عُرف بشيء غطى هذا الشيء على غيره، أنت لو تسأل عن شيخ الإسلام ابن تيمية فمباشرة ينصرف ذهنك ويتجه إلى العقيدة، وتصنفه على أنه من أئمة علماء الاعتقاد، مع أنه من كبار الفقهاء، ومن كبار المحدثين، حتى قيل: "كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث" وتفسيره للقرآن يشهد به الخاص والعام، ومعرفة للتواريخ وأحوال الأمم شيء لا يخطر على البال، هل يمكن أن يصنّف شيخ الإسلام بأنه مؤرخ، مع أنه يعرف من التاريخ أكثر من ابن كثير، وأكثر من ابن الأثير، لماذا؟ لأن عنده جانب صار كالشمس في حياته، غطى ما عداه على غيره.

فالإمام أحمد عرف بالحديث، لكن لا يعني ذلك أنه ليس بفقهاء، لا يعني أنه ليس بإمام من أئمة الاعتقاد، اعتقاد السلف، بل هو حامل راية عقيدة السلف -رحمه الله-، فالناس لا يستوعبون، إذا هجم الذهن على جانب من الجوانب غطى ما عداه، يعني لو أن عالماً من أكبر العلماء اشتهر بالخطابة صنف خطيباً،

الناس لا يحسنون وزن الناس، تجده إذا اشتهر بشيء كأنه لا يعرف غيره، وبعض طلاب العلم تأثراً بمثل هذا قيل له: لماذا لا تشرح كتاب الرقاق؟ قال: لا أود أن أصنّف واعظاً؛ لأنه إذا عرف بهذا الأسلوب جرد عن غيره، الناس كثير منهم لا يستوعب، عالم عرفت عنايته بالحديث فهل معناه أنه ليس بفقهاء؟!،

وبهذا يُرمى كبار المحدثين بأنهم ليسوا بفقهاء، وعلى رأسهم الإمام أحمد، ولذا ينفر من مذهبه، وأن مذهبه مذهب أهل الحديث، وفيه شدة، الإمام البخاري -رحمة الله عليه- من كبار سادة الفقهاء، ومن نظر في الصحيح عرف حقيقة ما أقول، وعنده دقة في النظر والاستنباط، قد لا يوازيه كثير من الأئمة، فهو فقيه، وإن كان محدثاً؛ لأنه عرف بالحديث، فمن اشتهر بشيء لا شك أنه يهجم على قلوب الناس ما عرف عنه، واشتهر به، ويغطي ما عداه كالشمس، وإن كان الإمام أحمد فقهه واضح ومشهور، وأقواله متداولة، وأتباعه في كثرة، ومصنفاتهم لا تخفى على أحد.

"ثم أحمد ينقل" يعني ينقل عنهم هذا الاعتقاد، ينقل عن هؤلاء الأئمة هذا الاعتقاد، فأنا أرويه عنهم بالنقل، شيخ الإسلام يسأل عنه محمد رشيد رضا فيقال: هل شيخ الإسلام ابن تيمية أعلم من الأئمة الأربعة أم هم أعلم منه؟ فيجيب بجواب فيه إنصاف، يقول: باعتبار شيخ الإسلام ابن تيمية تخرج على كتب الأئمة الأربعة، وعلى كتب أصحابهم لا شك أن لهم الفضل عليه من هذه الحيثية، وباعتبار اطلاعه على ما كتبه الأئمة الأربعة، وكتب أتباعهم وإحاطته بذلك لا شك أنه يفوقهم من هذه الجهة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

من أهل العلم من عرف بالتفنن، بمعنى أنه يحسن العلوم كلها، وإذا تكلم في علم ظننت أنه لا يحسن غيره، بمعنى أنه لا يغلب عليه علم من العلوم بحيث يطغى على غيره، وإنما يكون متفنناً عارفاً بالقرآن وعلومه كأهله، وعارفاً بالسنة وعلومها كأهلها، وعارفاً بالفقه كالفقهاء قواعد وأصوله، وعارفاً بالاعتقاد ومذاهب الناس، المقصود أنه يوجد مثل هذا؛ ولذا تجد في تراجم العلماء في السير وغيرها، يقال: المفسر، المحدث، الفقيه، المتفنن، الأديب، المؤرخ؛ لأنه مشارك في جميع هذه العلوم، لكن إن رجح عنده علم من العلوم غطى على غيره.

فإن اتبعت سبيلهم فموفق

.....

لا شك أن هذه علامة التوفيق أن يكون الإنسان مقتدياً بهؤلاء السلف، يتبع سبيل من سلف، اتبعوا ولا تتبدعوا فقد كفيتم، وهذه علامة التوفيق، توفيق الإنسان أن يكون على الجادة وليست عنده شواذ، متبع لا مبتدع.

فإن اتبعت سبيلهم فموفق

وإن ابتدعت فما عليك معول

يعني اخترعت قولاً تنسبه إلى الدين مما لم يسبق له شرعية في الكتاب ولا في السنة "فما عليك معول" فأنت متروك مطرّح أنت وما ابتدعته على حد سواء.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.